مجلس التعاون العربي..؟

أعلم أن ما سأقوله الآن ما يزال في طور الحلم واللا واقعية.. ولكن.. لننظر إلى أمريكا، ما سر كل هذه القوة؟ ألا ترون أنه الإتحاد الذي تحلم به البلاد العربية. تخيلوا لو أن أمريكا كانت خمسين دولة صغيرة، هل سيكون لها هذا الثقل، هل ستتصرف وكأنها شرطية العالم، هل سينتظر العالم أجمع ما ستفعله حيال أمر مثل ثورة سوريا، وهل سيكتفي العالم بالصمت عندما 'يؤذن' لها بغزو بلد بحجة تصحيح الوضع فيه ثم ما إن تفعل حتى تعلنه بلداً محتلاً من دون أن تجرؤ دولة على مناقشتها في ذلك؟ إنها القوة العظمى! القوة التي تبسط نفوذها فيصمت الجميع.. إنه الإتحاد.

ألا يذكركم هذا النوع من الإتحاد بشيء من تاريخنا، مع الفارق طبعاً لصالح تاريخنا.. إنه الإتحاد الذي كانت أمتنا شيئاً مذكوراً عندما كانت تطبقه. الاتحاد الذي تفكّك في فترة ظلامية، ولم يأت من يُعيد نظمه فيعيده كما كان..

إنني قطعاً لا أدعو للخلافة لأنه من السذاجة بمكانٍ المطالبة بها الآن وفي هذه الفترة بالذات، فليس بيننا من به حرص أبي بكر على إعلاء كلمة الله، وليس بيننا من به عدل عمر ولا من به تقوى علي وزهده ولا رحمة عثمان.. ولا حتى الرغبة الصادقة في عودة الخلافة التي كانت لدى عمر بن عبد العزيز.. رضي الله عنهم أجمعين.. فلنبحث عن نموذج آخر أسهل في التطبيق ولا يحتاج إلى عمالقة..

النموذج الأكثر واقعية إذن هو نموذج الإمارات العربية المتحدة، حيث تحظى كل إمارة بسيادة مطلقة أو شبه مطلقة وتعيش في نطاق قوتها الاقتصادية من دون أن تؤثر على الأخرى أو تلجأ إلى الأخرى. وهو الإتحاد المثالي في نظري لأنه لا يغير أوضاع البلاد لا الإقتصادية ولا السياسية، اللهم إلا أنه يرأس الحكام رئيس يمكن أن يُختار، في حالة الوطن العربي، بطريقة ديموقراطية.

ولكن الفروقات، وخاصة المادية بين دول العرب ليست كالفروقات بين الإمارات المتحدة إذ أنها أصبحت هائلة بين بلادنا بحيث أنه، ليس الحكام وإنما الشعوب نفسها لترفض هذه الفكرة خوفاً على مكاسبها الشخصية، فالفرق بين مستوى دخل من دخله خمسة وثمانين ألف دولار في العام وبين ما هو دون التسعة آلاف يصنع فجوةً

هائلة كفيلة بأن تجعل ذوي الدخل الثاني يتدفقون إلى منطقة ذوي الدخل الأول بما يخل بديموغرافيتها لو تم اتحاد وألغيت الحواجز المتمثلة في التأشيرات وقوانين الهجرة..

لذا فلننس هذا الشكل مؤقتاً ولنبحث عن نموذجٍ آخر أقرب إلى التصور، ألا وهو نموذج مجلس التعاون الخليجي. هذا النموذج ليس في قوة لحمة الاتحاد الإماراتي ولكني أظن أنه يفي بالغرض في الوقت الراهن.

لو طبق مثل هذا الإتحاد لاكتسب الوطن العربي ثقّلاً وهيبة ولربما استغنت دويلاته الأصغر عن الدول الأجنبية الكبرى التي تحتاجها للحماية من بطش جيرانها الأكبر حجماً، ولاستغنت جميع الدول العربية كبراها قبل صغراها عن موادة إسرائيل من وراء ستار كالمنخل، ولحظوْا بميزاتٍ أخرى صغيرة قطعاً سيرونها في حينها لأن الله تعالى دائماً يكافئ التعاون كما نعلم.

ثم إن هذا الشكل- لمن يصر على الخلافة قبل هبوط عيسى عليه السلام- من الممكن أن يكون الخطوة الأولى التي لن تأتي الخلافة قبلها بأي حالٍ من الأحوال، ثم يتبعها النموذج الإماراتي. فإذا نجحتم في تجاوز النموذج الإماراتي وأصبحتم أمة واحدة حقاً أيها السادة، فعندئذٍ.. عندئذٍ فقط تستطيعون أن تفكروا في الخلافة، وإلا فانتظروا عيسى عليه السلام..